تاريخ اللغة العربية في روسيا عامة ،

وجامعة اللغات الحكومية ببياتيجورسك خاصة

☜ إعـــداد

د. إبراهيم إبراهيموف

رئيس قسم اللغات الشرقية جامعة بياتيجورسك

انتشرت الأخبار عن العرب والبلاد العربية في بلاد الروس في وقت مبكر – في القرن السابع الميلادي.

بدأت أولى الأعمال الروسية في مجال الاستعراب في القرن الثامن عشر الميلادي مبادرة من القيصر بطرس الأول الذي زار بنفسه أنقاض مدينة بولغاز على ضفاف الفولغاز وأعطى توجيهاته بنسخ بقايا الكتابات العربية المحفوظة هناك ، وتم نشرها جزئياً ، وقد أسهم بدور مهم في تطوير الاستعراب الروسي في تلك الفترة الكاتب المعروف أ.كانتيمير (١٦٧٣-١٧٢٣)والذي أسس أول مطبعة بالحرف العربي بفضل مبادرته وفي عام ١٧١٦م صدرت في روسيا أول ترجمة كاملة للقرن الكريم باللغة الروسية . كما أنشئت بتوجيه من القصير بطرس الأول أولى مدارس الترجمة للمستعربين . أما في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي فقد دخلت اللغة العربية في مناهج المدارس الثانوية في بعض المدن الروسية (مثل أستراخان) .

وتعود انطلاقة العهد الجديد في الاستعراب الروسي إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادي .

أولاً : حسب النظام الداخلي للجامعة في ١٨٠٤م تم إدخال تدريس اللغات الشرقية في الجامعات الروسية .وتأسست أولى أقسام اللغة العربية في خاركوف وقازان وفيما بعد في موسكو . وترأس القسم في موسكو أ.ف.بولدينرين (١٧٥٨-١٥-٨٤٢) وهو مؤلف أول " مختارات عربية " في روسيا ، أما القسم الذي تأسس فيوقت لاحق في بطرسبورغ فترأسه

الكاتب والمستشرق المعروف على نطاق واسع في روسيا و.ي. سينكيفتش (١٨٥٨-١٨٠٠)، وقد ظل رئيساً للقسم لمدة خمسة وعشرين سنة (١٨٤٧-١٨٢٢)

فقد اقترن النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي بظهور العديد من المؤسسات والجمعيات في روسيا ، والتي بذل أعضائها جهداً كبيراً في مجال الاستعراب هدفاً للدراسة من قبل أعضاء كل من : الجمعية الجغرافية الروسية وجمعية هواة العلوم الطبيعية ،والآثار، والأجناس .

وقد قام المستشرق الشهير ن.ف. خانيكوف(١٨٧٨-١٨٢٢) بدور مهم ومتميز في تطوير الاستعراب الروسي وهو مؤلف كتاب "وصف إمارة بخاري " و" نبذة عن الأجناس في بلاد الفرس " وقد عمل قنصلاً روسياً لفترة طويلة في تبريز . كما بذل خانيكوف جهوداً ضخمة لاغناء مجموعات المكتبة العامة في بطرسبورغ والتي أهدافها مجموعاته الخاصة .

وترتبط مرحلة جديدة وهامة جداً في تطوير الاستعراب العلمي باسم ف.ر. روزان (١٩٠٩-١٨٤٨) الذي كان أبرز علماء الاستشراف الروسي ومعلماً لجيل كامل من المستعربين الروس .

ومن التلاميذ الرائعين لروزن كان المستشرق الروسي الكبير والمؤسس الفعلي لتاريخ آسيا الوسطي في روسيا ف . ف . بارتولد (١٩٣٠ - ١٨٦٩) .

فألف بارتولد سلسلة كاملة من البحوث في الجوانب العامة والخاصة من تاريخ البلاد الإسلامية والعلوم العربية : " ثقافة الإسلام " " عالم الإسلام " " علماء النهضة الإسلامية " وغيرها .

يمكن اعتبار البداية الفعلية للاستعراب العلمي في روسيا في عام ١٨١٧ م حيث تأسس " المتحف الآسيوي " في بطر سبورغ على يد أحد أكبر المستشرقين في الحين خ . د . فرين (١٧٨٢ – ١٨٥١) الذي عمل قبل ذلك عشر سنوات في قازان . وقام بدراسة المراجع العربية في تاريخ بلاد الروس . وتعود إليه ، بشكل خاص أولي الدراسات لأعمال إبن فضلان . وبهذا العمل الكلاسيكي تم بشكل ناجح افتتاح تاريخ الاستعراب العلمي في روسيا وفي ١٨١٩ اقتني " المتحف الآسيوى " مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية ، والتي اغتنت عام ١٨٥٢ م بمجموعة أخرى . وأضافت " الإدارة الآسيوية " التي تأسست عام ١٨١٣ م مخطوطات أخري . واستمر تزويد المتحف الآسيوي بالمخطوطات العربية الجديدة سواء بشكل منفرد أو على شكل مجموعات كاملة قدمت كهدايا للمتحف من أشخاص ، معظمهم كانوا من الدبلوماسيين في بلاد المشرق .

وقد تحول المتحف الآسيوي إلي معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم السوفياتية (فرع لينينغراد) . وفيما بعد ، في عام ١٨٥٤ م تأسست كلية اللغات الشرقية في جامعة بطر سبورغ ، والتي احتوت على قسم اللغة العربية وآدابها . وكان من أوائل خريجيه ف.ف. غرغاس

(١٨٣٥ – ١٨٨٧) الذي ألف قاموسا شهيرا وكتاب " مختارات " كانا مرجعا لعدة أجيال من المستعربين الروس .

لقد ظهر في موسكو عام ١٨٧٢ م مركز آخر لدراسة اللغة العربية – معهد لازاريف للغات الشرقية ، الذي أصبح مع بداية القرن العشرين مركزا حقيقيا للاستعراب العلمي ، وترأسه آنذاك أ . ى . كريمسكي (١٨٧١ – ١٩٤١). وينتمي إلي المدرسة الموسكوفية أ . أ . سيميونوف أول مختص في العلوم الإسلامية وتاريخ المذهب الإسماعيلي . أما في قازان فقد وضعت أسس الاستعرب من قبل فرين .

ومن أشهر المستعربين في قازان المستعرب الكبير غ . س . سابلوكوف (١٨٠٤ – ١٨٨٠) ، الذي أعد ترجمة رائعة للقرآن الكريم حسب التقليد الإسلامي المتأخر وتعود كذلك إلي سابلوكوف ترجمة بعض أجزاء مؤلفات إبن فضلان . وترأس إدارة المتحف الأسيوي بعد فرين ، المستعرب ب . أ . دورن (١٨٠٥ – ١٨٨١) الذي عمل علي دراسة المصادر العربية في تاريخ القوقاس وشواطئ بحر قزوين ، حيث بذل قصاري جهده لإعداد دليل مخطوطات المكتبة العامة في بطرسبورغ . وعلي مدى عشرين عاما أجرى " دورن " سلسلة كبيرة من البحوث والدراسات إسطرلاب العربية .

كان يورى بولآنافتش كراتشكوفسكى (١٨٨٣ – ١٩٥١) ثانى تلاميذ روزن، وكان باحثا واسع الإطلاع ومؤلف العديد من الأعمال التي كشفت للقارئ الروسي عن كنوز الأدب العربي والعلوم العربية.

وفي ظروف الحرب القاسية وحصار لينينغراد قام كراتشكوفسكى بتأليف أهم عمل له " المؤلفات الجغرافية العربية" والتي شملت الفترة من القرن الثامن والقرن التاسع وحتى القرن الثامن عشر الميلادي، وقد جمع مواد هذا العمل طيلة حياته.

وتعود بدايات هذه البحوث إلى عام ١٩٠٩م أثناء رحلة كراتشكوفسكي العلمية إلى المشرق العربي ، وذلك عندما أتيحت له الفرصة لسماع سلسلة محاضرات في جامعة القاهرة للمستشرق ك. أ. نيللينو في تاريخ الفلك والجغرافيا والرياضة عند العرب.

أما كتاب "المؤلفات الجغرافية العربية " فقد كان محصلة لسلسة محاضرات ألقاها كراتشكوفسكى فى الكلية الشرقية فى جامعة بطرسبورغ (١٩١٠-١٩١٧) وفيما بعد جامعة لينيغراد (١٩٣٥-١٩٣٦) وخلال ٤٠ سنة ونيف من العمل فى إعداد هذا الكتاب ، قام بإثرائه باستمرار بالمعطيات والمكتشفات الجديدة التى يعود قسم منها إلى المؤلف نفسه .

ويكفى القول إن كراتشكوفسكي قام بدراسة ووصف حوالى ٣٠٠ مؤلف من المراجع الجغرافية العربية ، معظمها محفوظ فى خزائن المخطوطات فى روسيا والدول المستقلة .

ويعد كراتشكوفسكي صاحب كتاب آخر شهير " دراسات فى تاريخ الاستغراب الروسي " الصادر عام ١٩٤٩ م بمناسبة مرور مائة عام على ميلاد

روزن . قد بدأ العمل على إعداد هذا الموضوع في الجامعة واستمر العمل به طوال حياته . وحصل كتابه العلمي المبسط " مع المخطوطات العربية " على سمعه وانتشار وأعيد نشره عدة مرات . تجدر الإشارة بدئت دراسة اللغة العربية فى جامعة اللغات الحكومية بياتجورسك في عام ألفين عندما بدأ خمسة عشر طالبا يتعلم هذه اللغة فى كلية الترجمة . في عام ألفين بدأت وخمسة بدأت دراسة اللغة العربية فى كلمة العلاقات الدولية .

من أولويات جامعة اللغات هي التعاون مع الجامعات الأجنبية بهدف إيجاد الإمكانيات للطلاب في تمرين اللغة التي يتعلمها . وفى هذا الصدد ، تولى الجامعة أهمية كبيرة للتعاون مع جامعة أسيوط التي تعد من أكبر وأشهر الجامعات فى مصر ، ويستمر التعاون بين الجامعتين منذ عام ألفين وستة . تعززت وتقدمت علاقات الشراكة بين جامعتي أسيوط وبياتيجورسك خلال هذه السنوات .

أصبحت جامعة أسيوط بيتا مضيافا لطلاب جامعة بياتيجورسك ، الذين يصلون إلى هذه الجامعة لإتقان اللغة العربية والتعرف عن قرب بالثقافة العربية .وطبق اللغة العربية في جامعة أسيوط حوالي مئة طالب وأساتذة من بياتيجورسك خلال سنوات التعاون .

وبدئ فى جامعة اللغات الحكومية بياتيجورسك بمشاركة جامعة أسيوط تحقيق البرنامج الدراسي الفريد في اللغة العربية ، ويحصل الطلاب على دبلومي الجامعتين بدرجتين مزدوجتين (بكالوريوس والليسانس)

بدأت جامعة اللغات الحكومية بياتيجورسك تتعاون مع جامعة سوهاج المصرية في عام ألفين وتسعة ، وفى الآفاق تخطط الجامعة التعاون مع الجامعات

المصرية فى عام ألفين وتسعة ، وفى الآفاق تخطط الجامعة التعاون مع الجامعات العربية الأخرى .

يدرس اللغة العربية خمسة عشر أستاذاً من بينهم العرب من الأردن ولبنان والسودان . وتستخدم في تدريس اللغة العربية أساليب وأجهزة حديثة . وتجدر الإشارة إلى أنهيزداد عدد الطلاب الذين يتعلمون اللغة العربية من عام إلى عام .

في الوقت الحاضر جامعة اللغط هي مركز من أكبر مراكز روسيا لتعلم اللغة والثقافة العربية . ويتعلم في يومنا هذا اللغة العربية حوالي ثلاثة مئة طالب خمس كليات الجامعة وفى معهد البرامج التعليمية الإضافية .